

الزلازل والفيضانات

الحمد لله على نِعَمِهِ التي لا تُعد ولا تُحصى، خلقنا من العَدَم، وورزقنا من النِّعم، ودفع عنا النِّقم، الحمد لله على نِعَمِهِ الظاهرة والباطنة ما نعلم منها وما لا نعلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد:

يقول سبحانه تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ * قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾.

عباد الله: لله تعالى آياتٌ كونية تدل على قهره وجبروته وتصرفه الكامل بمخلوقاته، على الوجه الذي يريده سبحانه، لا مُعَقَّب لحكمه، يفعل

ما يشاء ويحكم ما يريد، آيات تدل على عظمة الله تعالى، وإبداع صنعه، وبالغ حكمته في مخلوقاته، وأنه الخالق وحده، المدبر للكائنات في السماوات والأرضين، فسبحانه ما أعظمه!

آيات الله الكونية جعلها للتخويف والإنذار، وإشعار الإنسان بقدرة الله وقوته سبحانه، فالموفق يتذكر والمحروم يتكبر؛ ﴿وَنُحِوْفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾. وإذا غفل العباد أو نسوا قدرة الله تعالى وتديره لكونه؛ فإنه يريهم بين الحين والآخر شيئاً من قدرته؛ من خسوف أو كسوف أو صواعق أو ريح عاصف أو فيضانات أو زلازل أو غير ذلك مما يخوّف الله تعالى به عباده، لعلهم يتقون ويتعظون، أو يحدث لهم ذكراً.

آيات الله في الكون رسالة ربانية فيها إيقاظ للغافلين، وتنبيه للمعرضين المقصرين في حق ربهم، ودعوة إلى عدم الاغترار بالدنيا أو التعلق بالنعمة؛ فقد يسلبها في لحظة، وقد يأتي الموت على حين غرة!

الزلازل والأعاصير من جملة آيات الله تعالى التي يحدثها في الكون؛ إذ في ثوان معدودة يحدث مثل هذا التغير العظيم والدمار الجسيم، الذي

لا تستطيع قوة في الأرض مهما عظمت أن ترده، ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾. ومن تتبع النصوص الشرعية الواردة في الآيات يدرك أن لها حكما، والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، فقد أهلك الله بالرجفة بعض الأمم، كما قال تعالى عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾. وقد تكون الآيات عتاباً من الله لعباده وتذكيراً؛ ليرجعوا عما كانوا عليه من العصيان والتمرد، لما رجفت الأرض في الكوفة، قال ابن مسعود "أيها الناس، إن ربكم يستعيبكم فأعتبوه؛ وتوبوا إليه قبل ألا يُبالي في أي وادٍ هلكتم". الطبري في تفسيره.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كانت الرياح الشديدة عُرف ذلك في وجهه، ولما كان هبوبُ الرياح الشديدة يُوجبُ التخويفَ المفضي إلى الخُشوع والإِنابة، كانت الزلزلة ونحوها من الآيات أولى بذلك، لا سيّما وقد نصَّ الخبرُ أن كثرةَ الزلازلِ من أشراطِ الساعة، وقد تزلزلت الأرض على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: "أيها الناس، ما كانت هذه الزلزلة إلا عند شيءٍ أحدثتموه،

والذي نفسي بيده إن عادت لا أساكنكم فيها أبداً". ابن أبي الدنيا
في العقوبات.

الزلازل والأعاصير، آيات لها أسبابها، ومسبب الأسباب هو الله، ولولا
الله لما قام السبب، وعجبٌ أمر من ينسب الزلازل للظواهر الكونية
البحثة، أو غضب الطبيعة، ويجردها عن مشيئة الله، فيُعظم السبب
وينسب المشيئة له متناسياً قدرة الله الذي بيده مقاليد السماوات
والأرض، فسبحان من إذا أراد شيئاً هيأ أسبابه؛ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ
شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

وإنه مع ما في الزلازل والأعاصير والفيضانات من بلايا وآلام، ونقص
في الأموال والأنفس وخراب العمران؛ فإنها لا تخلو مع ذلك من آثار
رحمة الله بعباده، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أمّتي هذه أمّة
مرحومة، ليس عليها عذابٌ في الآخرة، عذابها في الدنيا الفتن والزلازل
والقتل". أخرج أبو داود في سننه.

وقال صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيراً يصب منه". أخرجه البخاري. أي: ينزل به من ألوان المصائب ما يكون كفارةً لذنوبه إذا صبر واحتسب.

كثرة الزلازل مذكرة بالزلزلة الكبرى، زلزلة الساعة، والعامل اللبيب من يتذكر بهول زلزال الدنيا عظمة زلزلة يوم الدين؛ ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا-فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلاً﴾. ومن تأمل أحوال الناس مع زلازل الدنيا ومشاهدها المروعة وحوادثها المؤلمة، ولكن زلزلة الساعة أكبر من هذا وأفظع؛ ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ-يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

أيها المسلمون: نحن ضعفاء؛ ولا حول لنا ولا قوة إلا بالله الذي خلقنا، فمن يعطينا الهواء الذي نتنفسه؟ ومن يُنزل علينا الماء الذي نشربه؟ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾.

ولو شاء الله لأمات الواحد منا بغصةٍ من الطعام أو الماء، أو بسكتة
قلبية أو جلطة دماغية، ولو شاء الله حين ينام الواحد منا لا يبعثه من
نومه، فالنوم أخو الموت، فإذا بعثك الله بعد نومك فاحمد الله على أن
أحياك بعد موتك، واعمل صالحا واشكر ربك، ولا تجعل يقظتك
للمعاصي والغفلة عن ذكر الله، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم
بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ
إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ومرت بنا مشكلة هذا العام وهو تأثر المحاصيل والفواكه حتى فسد
أغلبها بالحشرات التي فتكت بها وأضرتها، وإن كنا نعلم أن من أصيبوا
بالزلازل والفيضانات أشد لكنها رسائل ونذر من الله لنا، فلعل هذا فيه
يقظة لنا للعودة إلى ربنا.

اللهم ارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها وردنا
إليك رداً جميلاً، يا ذا الجلال والإكرام. بارك الله لي ولكم في القرآن
العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

*** ** **

الخطبة الثانية

الحمد لله القاهر القوي القادر، ذي العظمة والملكوت والكبرياء
والجبروت، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، حي لا يموت،
وقيوم لا ينام، الأرض أرضه، والسماء سماؤه، والخلق خلقه ﴿وَإِنْ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وأشهد أن محمدًا
عبدُ الله ورسوله، وصفيه وخليته، صلواتُ الله وسلامه عليه، وسلّم
تسليمًا كثيرًا.

ثم أما بعد:

اتقوا الله عباد الله، والتمسوا رحمته وعفوه، واتقوا أسباب غضبه
وسخطه، وتخلقوا بخلق أهل الإيمان في المصائب والنوازل، كما قال
نبيكم عليه الصلاة والسلام: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم
وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد
بالسهر والحمى". أخرجهم مسلم.

واعلموا عباد الله أن قيامَ المسلمين بنجدة المنكوبين وإغاثة الملهوفين
ممن نزلت بهم الكوارث هو من أفضل القربات، ومن صنائع المعروف

التي تقي مصارع السوء، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وقد أمر الله بالإحسان إلى جميع عباده، وكل معروف صدقة، ولو على حيوان، فما بالك بإنسان!؟

وإنَّ من أعظم المعروف عند النوازل إغاثة المنكوبين، وتخفيف مصابهم، والصدقة عليهم، وصيانة أعراضهم وأموالهم، وعدم استغلال حاجتهم، ومن الخير مساعدة المنكوبين والمتضررين فبادروا أيها الإخوة بالمساهمة بالمستطاع، لنجدة إخوانكم المنكوبين، عبر الجهات المعنية؛ فهم في كربة وغربة، مع بذل الدعاء وصدق الرجاء برفع محنتهم، والله لطيف بعباده، لا يرد سائلا سألته بصدق وإخلاص.

اللهم الطف بعبادك المنكوبين في كل مكان، وأنج عبادك المستضعفين، اللهم إنهم جياع فأطعمهم، وحفاة فأحملهم، وعراة فأكسهم، ومساكين فارحمهم يا راحم المساكين.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعينٍ واجعلنا للمتقين إماما.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر.

اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت. وبارك لنا فيما أعطيت.

اللهم أصلح شبابنا وبناتنا وردهم إليك ردا جميلا.

اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، اللهم ارفع عنهم ما هم فيه، وأفرغ عليهم وعلى أهلهم صبرا، وارزقهم الرضى بالقضاء، وعاجل الشفاء، شفاء لا يغادر سقما، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم ارحم موتى المسلمين، اللهم أنزل عليهم رحمتك التي لا تنقطع، اللهم آنس وحشتهم، وأنر قبورهم وارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه.

اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى، وخذ بناصيته للبر والتقوى، اللهم أعذنا من الفتن والشور، يا عزيز يا غفور.